Coptology

صدمة تجسد إبن الله

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٩

www.coptology.org

صدمة تجسُّد ابن الله

الإعتراضات على تجسد ابن الله ليست وليدة العصر، بل سبق أن سجَّل القديس أثناسيوس الرسولي الكثير منها في الرد على الأريوسيين، المقالة الثالثة، وفي دفاعه عن تجسد ابن الله. ولم يقتصر الأمر على الأريوسية، بل تواصلت هذه الاعتراضات واتسعت تحت مظلة النسطورية: كيف يكون إلهاً وإنساناً في نفس الوقت؟ وهل كان في المسيح الواحد كائنين، واحدٌ إلهي وآخر إنساني؟ وما هي العلاقة بينهما؟ بل كيف يجوع ويعطش ويتألم ويحزن ويجهل، وبعد ذلك يموت؟

إن استهوال الإنسان الساقط في الموت لعمل الله في التدبير، وما يترتب عليه من آثار، وعدم تصديقه أو عقله، يصيبه بصدمة شديدة تجعله يعترض عليه محاولاً أن يجد أية حجة تسند هذا الاعتراض. قد يلجأ البعض للفلسفة، كما رأينا عند أريوس أو نسطور، وقد يلجأ البعض لما رسخ لدى الشعوب من عادات، وما استقر لديها من تقاليد، يحاول من خلالها تفسير عمل الله بما يفرغه من محتواه ويبعد به عن القصد الإلهي، فيستكين للموت، ويسعد بالفقر، ويأنس للأوهام. وإذا كنا لا زلنا نسمع هذه الاعتراضات في أيامنا، ألا أن التطاول بلغ أوجه في دراسة J. G. Frazer, The Goden Bouch التي صدرت في عدة طبعات، ولا تزال معروضةً على آمازون. هذا الكتاب هو من شطحات القرن التاسع عشر. لم يهتم به أحد لِما فيه من تلفيق، ورصد ممارسات وأفكار عامة من كل مراحل الحضارة الإنسانية. ولكن ما أن تصلنا "قمامة الغرب" في الشرق العربي، حتى ولو بعد ١٠٠ سنة من انتشارها، نجد أن العديدين ممن لهم خصومة ذاتية، لا تاريخية ولا علمية مع المسيحية ينقلون عنها وكأنها الحقيقة، كل الحقيقة.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، استخدام "زيت الزيتون" في الطب معروف في كل حضارات الشعوب، فإذا ظهر استخدام زيت الزيتون في طقس المعمودية المسيحية سرعان ما تجد بعض الأقلام مادةً للإتهام بالاقتباس أو النقل. كذلك، الاغتسال بالماء معروفٌ منذ عرف الإنسان الماء واستخدامه في الحياة اليومية، فإذا ظهر في اليهودية أو في

المسيحية أو في الإسلام، كان أسهل تحليل أنه نقلٌ عن الوثنية، في حين أنه استخدام قديم قِدم الحضارة الإنسانية نفسها في كل بلاد العالم.

هل تجسُّد ابن الله، نقلٌ عن ميثولوجيا الإغريق والفراعنة؟

طبعاً، يلغي هذا السؤال الدور النبوي لأنبياء بني إسرائيل، وتمنى الشعب القديم أن يأتي مخلِّص "الممسوح" أو "المسيح".

وفي الرد على الوثنيين للقديس أثناسيوس نرى الوعي لدى المؤلف بما هو في بشارة الإنجيل، بالرغم من أن الوثنية كانت حاضرة وقوية في الإسكندرية، وفي كل مدن وادي النيل.

ونحن نرى، حقيقةً، أن صدمة تجسُّد ابن الله تعود إلى:

١- فقدان الإيمان بمحبة الله للإنسان.

٢- دونية الإنسان الخاضع لكل أهواء وتطرُّف الآلهة في الميثولوجيا الإغريقية.

٣- الجهل الشديد لدى بعض الكُتَّاب، حتى من الأقباط الأرثوذكس الذين وُجِدَ لديهم ميلٌ شديد إلى تعقُّب العقائد والطقوس في "الفرعونية"، وهي دعوةٌ سادت بعد اكتشاف الآثار المصرية في الأقصر، واشتعال الوطنية المصرية، لا سيما إبان الصراع ضد الاحتلال البريطاني.

تلك أسبابٌ عقلية ونفسانية، ليست لها إلا شِبه علاقة بالتاريخ القديم.

ولبيان ذلك، نضع أمام القارئ بعض الأسئلة: هل كان لدى المصريين القدماء ثالوث؟ إن قصة "ايزيس وأزوريس وست"، التي يدَّعون أنها هي أصل الثليث المسيحي، لم تكن معروفة كثالوث في مصر القديمة، بل باعتبارها قصة صراع الخير مع الشر. وإذا كان

ســت هو الشــرير الذي قتل أزوريس في هذه القصــة، فأيُّ علاقةٍ بين هؤلاء، وبين الآب والابن والروح القدس؟ وإذا كانت كلمة "الثالوث" لم تظهر إلا بعد انتشار الإنجيل، عندئذٍ ينكشف كم التلفيق في هذا الادعاء.

كان الختان يمارَس في مصر الفرعونية، ولا زال هناك نقشٌ في منطقة سقارة، نرى فيه ربما طبيباً يختن صـــبياً، فإذا ختَّن اليهود أبنائهم، فهل يكونوا قد نقلوا الختان عن المصريين القدماء؟ ولكن، هل يوجد نصٌّ مصريٌّ قديم يقول لنا إن الختان علامةَ عهدٍ بين يهوه وابراهيم؟ أبداً.

وذاع كتابٌ آخر لأستاذ سابق في جامعة مانشستر في بريطانيا J. M. Allegro, The Sacred Mashoom and Cross وطُبع أيضاً عدة طبعات. ودُعيَ الأستاذُ إلى محاضرةٍ في قسم اللاهوت في جامعة كامبريدج عام ١٩٦٦، وكانت مجرد عرض لما جاء في الكتاب، وهو أن فِطر الـــ Mashroom في الجليل الأعلى كان يحتوي على مادة الـــ LSD وهي مادة تسـبب الهلوســة والخيالات، وأن يســوع قدَّم هذا الفِطر إلى التلاميذ، ولذلك ظنوا أنهم شاهدوا المعجزات والقيامة وصعود الرب إلى السماء. وسألتُ الأستاذ: هل كان إصحاح ٥٣ - ٥٤ من أشعياء هو أيضاً ثمرة الـ LSD وهل كل النبوات كانت مجرد هلوسة؟ وماذا عن اهتداء بولس الرسـول الذي ترك لنا ١٤ رسـالة عن إيمانه، وهو لم يكن أصـلاً من الـ ١٢ رســول؟ هل كان أغناطيوس الأنطاكي مصـــاباً بهلوســة؟ وهل عاش هو في منطقة الجليل الأعلى؟ وهل كان أكل هذا الفِطر معروفاً ومنتشـراً في اليهودية؟ وماذا عن مسـح ملوك اسرائيل في انتظار المسيح المخلِّص؟ هل كل هذه هلوسة الـــ LSD وأُسقِطَ في يد الأستاذ الكبير الذي قيل إنه كان يجيد ١٠ لغات.

الهلوسة الحقيقية هي الاتهام بلا دليل، واستخدام ما هو عام في الحضارة، لشرح ما هو خاص لدى شعب معيَّنٍ.

هل كانت معمودية الدخلاء الراجعين إلى اليهودية هي أســـاس المعمودية في الكنيسة؟ ومَن الذي سبق الآخر تاريخياً: معمودية الكنيسة، أم تغطيس كل من جاء لكي

يصير يهودياً؟ طبعاً لدينا شواهد من العصر الوسيط، وربما قبل ذلك عن الاغتسال قبل الختان في طقس اليهودية Mikveh ولكن، هل كان هذا الطقس بمثابة موتٍ ودفنٍ مع المسيح (رو ٦: ١-٨)؟ فإذا كان الموت يُعتبر نجاسةً في اليهودية حسب أسفار الشريعة: اللاويين والتثنية، بل كان دمُ الجريح يمنع من الصلاة حتى مساء اليوم، وبعد التطهر بالماء، إذا كان الأمر على هذه الحال، فكيف يمكن اعتبار أن معمودية الدخلاء في اليهودية هي أصل المعمودية المسيحية؟! وهل يمكن تأسيس ذلك على مجرد أن الماء هو العنصر العام والعالمي للإغتسال في كل الثقافات القديمة؟

وحتى أكل الخبز وشُرب الخمر، فهو جزءٌ لا يمكن إنكار وجوده في حضارات كل الشعوب، ولكن في أيٍّ من هذه الحضارات كان أكل وشرب الخبز والخمر هو شركة في جسد ودم آخر؟ وإذا كان الادعاء بأن عشاء الرب نشأ في داخل الفصح اليهودي، هو ما جعل بعض المؤرخين يظنون أن يسوع قدَّم جسده ودمه في العلية حسب الطقس اليهودي، فكيف يمكن مصالحة هذا الادعاء مع الطقس اليهودي نفسه الذي يمنع أصلاً تناول الدم حتى في اللحوم نفسها.

إن تخصيص ما هو شائع وعام في ثقافةٍ أو عادات شعبٍ من الشعوب؛ لشرح وتقديم الجديد، هو ما يجب علينا أن نعيه بكل دقة قبل الإسراع في التأويل.

يسوع، بشارة المتجسد:

كتب يسوعُ البشارةَ بحياته ودمه وجسده، ونقل الشريعة من اللوح الحجري إلى الإنسان. هذا هو هدف التجسد، وكلُّ مَن لا يدرك أن الإنجيل هو يسوع الحي في كل إنسان، يكون قد عاد إلى الوثنية دون أن يعرف، لأنه يكون حينئذٍ لم يرَ في الإنجيل سوى الحرف، أي ما هو مدوَّن، وهو المقصود في عبارة الرسول: "الحرف يقتل"، فحسب الأصل اليوناني، الحرف هو المدونات، لا حروف الهجاء.

إذن، إذا تجاوزنا تعديات المدعين، ما هي صدمة التجسد؟

الصدمة الأولى: المحبة التي لا حدود لها ولا شر يعادلها.

الصدمة الثانية: إن محور البشارة هو الإنسان نفسه، وليس النص، برغم أهمية النصوص.

كان أستاذنا السابق CH. D. Moule أستاذ العهد الجديد يقول لنا إن المعمودية والعشاء الرباني بشكلٍ خاص، هما أقدم دليل على موت وقيامة يسوع من الأموات، وإن الطعن في صدق ما هو مدوَّن في الأناجيل الأربعة عن قيامة يسوع يصطدم بشكلٍ مباشر مع الممارسة الكنسية، تلك التي شَهِدَ لها مؤرخو روما مثل Pliny وتاسيتوس وكررها كلسوس.

أما الصدمة الثالثة، فهي أن الحساب ليس على أعمال، بل على المحبة والإيمان، وأعظم الكل هو المحبة.

كل عام وأنتم بخير، ومصر كلها بخير؛ لأن تمني الشر للأشرار، يجعلنا نحن أنفسنا أشراراً، لا فرق بيننا وبين مَن يكرهنا. ومَن يبادُل كراهيةً بكراهيةٍ أخرى لا يختلف عن العدو الذي يكره، فقد جاءت سكين الإنجيل لكي تكشف عوار الكراهية.

"أحبوا أعدائكم".

د. جورج حبيب بباوي